وضراوة، والمعروف عسكرياً، أنه لا توجد معركة تكون صورة طبق الأصل عما سبقها من قتال أو معارك أو حروب. فكل معركة أو حرب تأتي، ويأتي معها جديد.

طبعاً، نحن خضنا القتال، في السابق، مع اسرائيل؛ وكانت العملية العسكرية الكبيرة جداً، عام ١٩٧٨، والتي هي اجتياح جنوب لبنان. والحقيقة، أن ما جرى، في الأسبوعين الأخيرين من تموز (يوليو) ١٩٨١، لم يكن يماثل ما جرى في عام ١٩٧٨؛ بل واجهنا، هذه المرة، شيئاً جديداً وتكتيكاً جديداً، وباعتقادي أن ما أعطى ميزة للقتال الذي جرى، في هذين الأسبوعين، هو فعلاً، الصمود الذي ظهر لدى المقاتل الفلسطيني أمام هذا الهجوم القوي والشرس، والذي كانت قوة النيران فيه، شيئاً بارزاً، إذ كانت تفوق أي مقياس عسكري، وأية مقارنة عسكرية بين طرفين متحاربين. فالمعروف أن الجيش الاسرائيلي يمتلك قوة نيران كبيرة جداً، لكونه جيشاً حديثاً، يمتلك الأسلحة الحديثة والمتطورة. وهو يمتلك، أولاً بأول، ما تمتلكه الجيوش الحديثة من الأسلحة. وعندما أقول: الجيوش الحديثة، فإنني أعني جيوش الدول الكبرى.

فالأسلحة الاسرائيلية التي واجهتنا، في حرب تموز (يوليو)، هي أسلحة أميركية حديثة ومتطورة جداً، تمتاز بدقة الإصابة كما تمتاز بنسبة الإماتة أو الفتك والتقتيل. واستخدام كافة هذه الأسلحة، بالطرق الحديثة التي استخدمها بها الجيش الاسرائيلي، يشكل بالتالي قوة النار التي يمتلكها هذا الجيش، والتي إذا قارنتها بقوة النيران التي تمتلكها الثورة الفلسطينية، فإنها تخرج عن أية مقارنة عسكرية وعن أي منطق.

والحقيقة أنه يمكن القول: إن الذي أبرز صمود المقاتل الفلسطيني، إلى جانب تمتعه بالإرادة الصلبة للقتال من أجل الاستمرار والصمود، هو التكتيك الذي استخدمته الثورة الفلسطينية، بشكل عام، لتغطية تلك الحرب. أولاً: قواتنا ليست قوات نظامية، وإنما أستطيع القول: إنها قوات منظمة. منظمة في وحدات تعرف فيها المسؤوليات والصلاحيات، ولكن أسلوبها في القتال، ما زال هو أسلوب حرب العصابات. والسبب هو أننا إذا قارنا قوات الثورة الفلسطينية بقوات العدو الاسرائيلي، فإن العدو يتفوق علينا، بالعدد وبالمعدات وبالأسلحة الحديثة، يتفوق في كل هذه الوجوه، لهذا لا يزال أسلوب قتالنا هو أسلوب حرب العصابات. كذلك فإن قواتنا لا تستطيع أن تقوم بدور الدفاع المحض، وهذا يعني أنها لا تستطيع إلاَّ أن تقوم بدور الهجوم، وهذه نظرية عسكرية معروفة، سواء في حرب العصابات، أو حتى في الحروب النظامية. إذ المعروف عادة أن الجيوش الصغيرة هي التي تقوم بالهجوم، لأنها لا تستطيع، ولا تملك القدرة على الدفاع.

والأسلوب الذي يستخدم، من قبل الثورة الفلسطينية، ليس سراً وليس له علم جديد. وإنما السرية أن الثورة الفلسطينية تمكنت من استخدام جيد لما يسمى «ديناميكية المعركة».

وهذه الديناميكية هي استخدام النيران والقوات، في الوقت والمكان المناسبين. وفي تقديري، أن قواتنا استخدمت هذا الأسلوب إستخداماً جيداً وبارعاً.